

مجالس في تدبر القرآن | (250) قوله تعالى ثم قست قلوبكم بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة .. الآية

خالد السبت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته نواصل الحديث ايها الاحبة عن هذه الايات التي قص الله تبارك وتعالى فيها خبرا بني اسرائيل - [00:00:01](#)

لما امرهم موسى صلى الله عليه وسلم لذبح البقرة وما اجابوه به وما حصل منهم من بالتباطؤ والتكلف بالسؤال الى ان ذبحوا هذه البقرة فاحيا الله القتيل ودلهم على قاتله - [00:00:25](#)

قال الله تبارك وتعالى تعقيبا على هذه الواقعة واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون واذكروا اذ قتلتم نفسا يعني حين قتلتم نفسا فاضاف هذا القتل الى - [00:00:51](#)

المجموع باعتبار انه صدر من بعضهم فهو ليس بخارج عنهم فصاروا يتدافعون ذلك فادارأتم فيها كل فئة تدرا ذلك عنها وتدفعه الى غيرها والله مخرج ما كنتم تكتمون وتخفون بشأن هذا - [00:01:18](#)

القتيل لاحظ ان هذه الآية التي جاء التعقيب بها جاءت متأخرة بعد القصة وفي البداية حصل القتل وحصل التدافع فامرهم موسى صلى الله عليه وسلم بان يذبحوا البقرة لكن ذلك جاء مؤخرا في الذكر - [00:01:45](#)

والا فالواقع ان ذلك من حيث الحصول انه متقدم على امرهم بذبح البقرة وبعض اهل العلم يقولون في توجيه هذا التأخير انه في مقام هذا المقام ذكر مساوي بني اسرائيل ومثالب بني اسرائيل ومعائب بني اسرائيل على سبيل التفصيل - [00:02:11](#)

فلو انه ذكر هذا في البداية لكان السياق واحدا يعني انهم قتلوا قتيلا فتدارؤوا فيه. فموسى صلى الله عليه وسلم امرهم لحل هذا الاشكال ان يذبحوا بقرة لكن لما قدم الامر بذبحهم - [00:02:40](#)

بقرة واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة هذا يعتبر بمفرده يعني هذه الايات التي اجابوا موسى واجابهم في هذه السؤالات وما قالوا قبل ذلك انتخذنا هزوا ان هذا يدل على عنيتهم وتمردهم - [00:02:57](#)

ثم بعد ذلك ايضا قتل هذا القتيل وكل طائفة تتهم به الاخرى وتدفع التهمة عنها فهذه كانها منفصلة فمقام بيان العيوب والمسالب يقتضي التفصيل فهذا ليس بمقام اجمال والله تعالى - [00:03:18](#)

اعلم ثم ايضا يؤخذ من هذه الآية واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ان اظهار الحقائق للناس والبيان الذي يبينه الله تبارك وتعالى لهم فيما يحتاجون اليه ان هذه من - [00:03:43](#)

نعمه الجزيلة على عباده التي يمتن عليهم بها والله تبارك وتعالى ايضا يخرج ما يكتمه اهل الباطل ويبين الحق ويظهره فيحذر الانسان من ان يكتن شيئا من الباطل والشر وما الى ذلك فانه لا يخفى على الله - [00:04:07](#)

جل جلاله والله تبارك وتعالى يفضحه بذلك متى يشاء فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريك اياته لعلكم تعقلون. اضربوا هذا القتيل بجزء منها لاحظ في البداية ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة. هنا مباشرة فقلنا اضربوه - [00:04:37](#)

ببعضها وذلك ان الله تبارك وتعالى اوحى الى موسى صلى الله عليه وسلم ذلك فهو مبلغ عن الله وجاء هنا الامر مباشرة من الله تبارك وتعالى فيحيي هذا القتيل الذي فارق الحياة - [00:05:04](#)

ويخبركم بقاتله ففعلوا فاحياه الله عز وجل واخبرهم فهذا الاحياء الذي شاهدوه قال كذلك يعني كذلك الاحياء يحيي الله الموتى. هذا

الانسان الذي خرجت روحه من جسده وصار جثة هامة تماما كهذا الجماد - [00:05:26](#)

يعيد الله عز وجل اليه الحياة من جديد فيتحرك ويتكلم ويعقل وهذا من اعظم اياته سبحانه وتعالى الدالة على قدرته وانه يحيي الموتى وقلنا ان هذا احد الشواهد الخمسة في سورة البقرة - [00:05:48](#)

التي تندرج تحت نوع من ادلة قدرته على البعث وهو ان اقواما قد ماتوا فاحياهم الله تبارك وتعالى من جديد كل ذلك يريهم ربهم تبارك وتعالى الايات الدالة يعني العلامات - [00:06:13](#)

الدالة على قدرته وكمال علمه وانه تبارك وتعالى على كل شيء قدير وانه يحيي الموتى قال لعلكم تعقلون وعرفنا في بعض المناسبات ان من اهل العلم من يفسر لعل في جميع القرآن - [00:06:38](#)

بانها للتعليل. قل لعل في القرآن يقولون فهي للتعليل الا في موضع واحد وهو قوله وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون اي كانكم كانكم تخلدون والمصانع فسرت في الآية بمعان من اشهرها ان المصانع هي القصور. يعني ما كأن الانسان سيوضع في لحد - [00:07:00](#) كانه يخلد حينما يبني هذه القصور الفارهة وما علم انه سينتقل منها الى حفرة جوانبها غبر ليس فيها فراش ولا وساد وليس هناك غطاء غير التراب وليس معه زاد الا العمل - [00:07:27](#)

الصالح لعلكم تعقلون من اجل ان تعقلوا بان الله تبارك وتعالى على كل شيء قدير وانه يبعث من في القبور وانه تبارك وتعالى يجازي العباد على اعمالهم ويحاسبهم وانه تبارك وتعالى لا يخفى عليه - [00:07:52](#)

خافية وانه يظهر ما خفي على الناس او اخفوه متى شاء كيف شاء ولو بطريقة لا يتوقعونها. يعني من الذي يتوقع ان هذا القتل سيحيه الله عز وجل من جديد وينطق - [00:08:15](#)

ويخبر عن من قتله فهذا يحمل العبد دائما على مراقبة الله عز وجل والاتعاظ والاعتبار يؤخذ من هذه الآية فقل نضربوه ببعضها. هذا البعض مبهم غير محدد فمثل هذا المبهم - [00:08:34](#)

يتحقق المراد باي فرد او باي جزء او باي بعض منه يعني لو ضربوه بيدها او برجلها او رأسها او ضربوه بكبدها فان الله تبارك وتعالى يحييه. قلنا اضربوه ببعضها - [00:08:56](#)

فهذا الابهام يدل على ان ذلك يصدق على اي جزء كان ثم ايضا لاحظ اضربوه ببعضها ينبغي الاخذ بمثل هذا والبعد عن التكاليف والسؤالات الخارجة عنه اضربوه ببعضها باي شيء كان - [00:09:22](#)

لكنهم بدأوا يسألون سؤالات لم يكلفوا بها فالخروج عن المقصود لا شك انه يؤدي الى مفاصد كثيرة تارة يؤدي الى المشقة في التكليف وكما ذكرنا سابقا فيما يذم من السؤال - [00:09:43](#)

وكذلك ايضا يدخل فيه او يحصل بسبب ذلك ضياع موطن العظة والعبرة وهذا كثير في حياة الناس فان مثل هذا يصرف الانسان عما هو حري بالعناية ليحصل المقصود بالاتعاظ والاعتبار سواء كان مما يتعلق بالقرآن او بغيره - [00:10:11](#)

القرآن انظروا الى كثرة التكاليف فيما يسمى بالمبهمات من القرآن حينما يذكر الله تبارك وتعالى خبر اصحاب الكهف اين هذا الكهف ان يقع وتجارب ودراسات الشمس ودخول الشمس والزوايا وما الى ذلك وما الذي يفيد - [00:10:39](#)

يوسف صلى الله عليه وسلم القي في بئر في غيابة الجب اين هذا البئر وما الفائدة موسى صلى الله عليه وسلم تجلى ربه تبارك وتعالى للجبل فجعله دكا اين هذا الجبل - [00:11:04](#)

تحديد هذا الجبل لو كان في هذا فائدة لذكره الله عز وجل ولكنه اشتغال بما لا طائل تحته. سفينة نوح صلى الله عليه وسلم من اي انواع الخشب وكم عدد الطوابق - [00:11:22](#)

ومن اول من ركب في السفينة ومن اخر من ركب في السفينة وما الذي يعيننا من هذا؟ ما الفائدة؟ يقولون اخر من ركب الحمار وتعلق ابليس بذيل الحمار فخرجت الفأرة - [00:11:39](#)

في السفينة تفسد وخاف الناس من الاسد فالقى الله عليه الحمى فعطش فخرجت الهرة من عطسته فخافت الفأرة فاستخفت هذا كله اخبار لا قيمة لها دار بني اسرائيل ما الفائدة من هذا وذاك - [00:11:55](#)

فتضيق مواطن العبر ويشغل بمثل هذا ما لون كلب اصحاب الكهف وما اسمه يذكرون اسماء لهذا الكلب ما الفائدة؟ العبرة هنا في ذكر القصة ليست في لون الكهف او في عدد هؤلاء - [00:12:16](#)

الفتية او في موقع الكهف وهكذا ما يذكر من عرش بلقيس ما مقدار هذا العرش؟ ما طوله وما عرضه وما ارتفاعه. يذكرون تفاصيل وكلها مبناها على اخبار اسرائيلية لا تصح ولا يبنى عليها - [00:12:36](#)

علم ولا غلبت ظن وهكذا الف بعض اهل العلم مؤلفات خاصة بهذا الموضوع المبهمة في القرآن سواء كان ذلك من الاشخاص او المواضع الاماكن او كان ذلك من الاوقات او غير هذا - [00:12:57](#)

من انواع المبهمة هذا بالنظر الى كتاب الله تبارك وتعالى. وفيما يجري في العبر والعظات في الحياة تسوق الخبر فيه عظة وعبرة. فيترك الناس موطن العبرة وينشغلون بالاشياء الاخرى ما نوع السيارة - [00:13:22](#)

اللي وقع لها هذا كم عدد الاشخاص من هم؟ من اللي كان يقود السيارة وهل فلان هو ابوه فلان او جده فلان ثم تحول القضية احيانا الى جدل في قضايا لا علاقة لها بالموضوع - [00:13:41](#)

جدل فلان الذي يسكن في المكان الفلاني يأتي الثاني يقول لا ما يسكن بالمكان الفلاني هو يسكن في المكان الاخر هو في الحي الفلاني وجدل ثم تتحول القضية الى نوع من الخصومة انت تكذبي - [00:13:59](#)

والثاني يقول لا انا ما كذبتك تحولنا الان من قصة سيقط للعظة والعبرة ان هذا الانسان اسرع ان هذا الانسان خاطر فوقع له مكروه. اعتبروا بهذا القدر فقط. تحولت القضية الان - [00:14:13](#)

هو فلان او فلان سيارته كذا الثاني يقول لا سيارته ما هي بكذا قم تعال هذا الجدل الطويل ثم الاخر يبدأ يتكلم انت معناها تكذبي لا انت اللي انا ما كذبتك انا - [00:14:27](#)

ما شأن بهذا؟ فتضيق بعض الناس هكذا يفكر وهكذا يناقش هكذا يأخذ الامور وهذا غلط سواء كان هذا فلان او ابن فلان او الركاب خمسة او اربعة او لون السيارة ابيض او لون السيارة اصفر او لون السيارة ابقع. وماذا يعني - [00:14:40](#)

من هذا ايا كان يسكن اين وين تريده يسكن في اي حي الحي الفلاني هو في الحي الفلاني كفاية وانت وماذا تقول؟ يسكن في الحي الفلاني الاخر ويسكن في حيين مع بعض - [00:14:58](#)

انتهى عطونا موطن العبرة بس تحولت القضية الى شيء اخر جدل فهذا غلط لا تؤخذ الامور بهذه الطريقة دعك من هذه التفاصيل وهذه اللواحق والتوابع والذبول فالعاقل ينظر الى مواطن العبر - [00:15:11](#)

ويقف عندها ثم قال الله تبارك وتعالى مبينا للحالة التي الت اليها امور هؤلاء القوم كان المتوقع ان هؤلاء بعد ما رأوا هذه الايات رأوا هذا القتل احياء الله عز وجل - [00:15:32](#)

رأوا هذا القتل احياء الله تبارك وتعالى ان قلوبهم تلين وتخضع فهذه اية عظيمة انسان مات فاحياه الله عز وجل فيكون هؤلاء في غاية الخشوع والخضوع والتذلل لله عز وجل والاستكانة - [00:15:52](#)

واليقين التام الذي حصل هو عكس هذا تماما ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء - [00:16:15](#)

وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون يقول لم تنتفعوا بهذا ولا بشيء منه بعد هذه الايات وخوارق العادات التي تسمى بالمعجزات ما زادكم ذلك الا قسوة - [00:16:36](#)

لم تلتن هذه القلوب امام هذه الايات الباهرات التي رأيتموها باعينكم حتى صارت القلوب بهذه المثابة كالحجارة او اشد قسوة لان من الحجارة ما يتفطر يتشقق يتفجر منه الانهار ومنها - [00:16:58](#)

كذلك ما يحصل به التشقق فيخرج منه الماء الحجر القاسي الغليظ في غاية الصلابة يتشقق ويتفطر ونوع منها يسقط يخر من الاعلى من قمم الجبال واعاليها من خشية الله تبارك - [00:17:23](#)

وتعالى. وهذه القلوب في غاية الصلابة فهذا يدل على لؤم هؤلاء القوم وسوء حالهم وقسوة قلوبهم فمهما رأوا من الايات فان ذلك لا

يؤثر فيها بل يزيدها غلظة وقسوة ثم - 00:17:47

لاحظ قوله تبارك وتعالى ثم قست قلوبكم فهذا حصل منهم بعد رؤية هذا الامر الذي يستبعد معه القسوة فكيف تقع وتتحقق وبهذه الدرجة اعلى درجات القسوة كالحجارة او اشد قسوة لماذا اشد قسوة؟ لان الحجارة - 00:18:12

يحصل فيها تشقق وتفتقر فيخرج الماء ويتفجر او تسقط من خشية الله. هذه القلوب لا يخرج منها ماء ولا تلين ولا تستكين ولا يحصل منها ولا من اصحابها غرور من خشية الله تبارك وتعالى - 00:18:39

قد يقول قائل لماذا لم تشبه بالحديد فيما يبدو لاول وهلة ان الحديد اشد قسوة من الحجارة هذا اجاب عنه جمع من اهل العلم بان ذلك والله تعالى اعلم باعتبار ان الحديد - 00:18:59

يلين في النار والله تبارك وتعالى قال قال عن داود صلى الله عليه وسلم والتا له الحديد فهو يلين بل النحاس الذي هو اشد قوة وصلابة من الحديد واسلنا له عينا - 00:19:15

القطر النحاس لكن الحجارة ولذلك اخبر الله عز وجل عن النار اعادنا الله واياكم والدينا اخوانا المسلمين منها وقودها الناس والحجارة لو كان فيها حديد لسال ولكن الحجارة قيل حجارة الكبريت - 00:19:34

انها اشد توقدا وقيل الاصنام التي كانوا يعبدونها نكايه بهم يسعر بها النار فهي كالحجارة او اشد قسوة ولاحظ ترقى وصفها شبهها بالحجارة ثم قال اشد او اشد قسوة بالاعتبار - 00:19:53

السابق وشبه هذا الامر المعنوي قسوة القلوب بامر محسوس ولاحظ التعبير هنا بقوله او اشد قسوة ما قال فهي كالحجارة او اقصى اقصى ثم قست فهي اقصى وانما قال اشد - 00:20:17

جاء بالفعل التفضيل من غير مادة الفعل قست ما قال ثم قست قلوبكم فهي كالحجارة او اقصى من لا قالوا اشد من اشد قسوة اعبر هنا المصدر الصريح قسوة قسوة - 00:20:43

اجابي افعل التفضيل ما جاء به من مادة الفعل اقصى من الحجارة فهذا اكثر دقة وقوة في التعبير عن شدة القسوة اشد جاء بالفعل التفضيل اشد وجاء المصدر قسوة قسى - 00:21:05

يقسو قسوة فهو قاس فهذا يدل على فرط هذه القسوة وصفها بالشدّة. فالقسوة تتفاوت ولكن هذه بلغت الغاية في القسوة الذي لا تدمع عينه ولا يخشع قلبه حينما يسمع كلام الله يتلى - 00:21:30

من اوله الى اخره ولا تدمع له عين ولا يخشع له قلب لا شك ان هذا يدل على قسوة في قلبه والله يقول الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله - 00:21:57

وما نزل من الحق شهر كامل نحن نكاد ان نفارقه وان يتصرم والقرآن يتلى مع الصيام وتصفيد الشياطين وفتح ابواب الجنة واغلاق ابواب النار ثم بعد ذلك اذا بقيت هذه القلوب قاسية - 00:22:13

فهذا يحتاج الى مزيد من المعالجات هذا يدل على ان العلاقات التي عليها والران انه يمثل طبقة كثيفة غليظة لم يداوها بعد ما سمعه العبد من الايات وما يحصل بسبب الصيام - 00:22:38

والقيام فهذا للاسف لا ينبئ بخير الحافظ ابن القيم رحمه الله لما ذكر المليينات للقلب ذكر بعد ذلك النار النار ثم ايضا تأمل هذه الالية ثم قست قلوبكم عبر بالقسوة وما قال قويت - 00:23:00

قلوبكم ففرق بين قسوة القلب وقوة القلب وثبات القلب قسوة القلب مذموم واجعلنا قلوبهم قاسية وهذه القسوة تكون بسبب كثرة الذنوب والغفلة عن ذكر الله عز وجل وكثرة الفضول الخلوطة وفضول النظر وفضول الكلام وفضول النوم وفضول الاكل - 00:23:26

شرب كل هذه تسبب قسوة في القلب اما قوة القلب فهذا مطلب شرعي قوة القلب تعني ثباته تعني رباطة الجأش تعني الشجاعة في مقامات الشجاعة والاقدام تعني الثبات والصبر امام - 00:23:58

المصائب فلا يتزعزع ولا يتضعضع ولا ينهار وانما يبقى متماسكة فهذه قوة القلب. قوة القلب امام الشهوات قوة القلب امام الشبهات

فلا يكون القلب كالاسفنجة كما قال شيخ الاسلام رحمه الله لتلميذه - [00:24:25](#)

ابن القيم اوصاه نصحه فيما يتعلق بالشبهات قال اجعل قلبك مثل الزجاج ولا تجعله كالاسفنجة يتشرد الشبهة يقول ابن القيم

نفعتني هذه النصيحة كثيرا ونحن نقول الاصل ان الانسان لا ينظر في الشبهات - [00:24:47](#)

ولا يقرأ ولا يسمع ولا يتيح لاحد ان يلقي في قلبه شبهة ثم بعد ذلك لا يستطيع الخروج منها وهكذا ايضا شيخ الاسلام رحمه الله يفرق

هذا التفريق الذي ذكرت بين قوة القلب وقسوة - [00:25:07](#)

القلب فالقسوة مذمومة والقوة محمودة قلب القوي الثابت والذي لا يتزعزع امام الشبهات ولا يهزم امام الشهوات ولا يسقط امام

المصائب والمكاره والشدائد ونحو ذلك فيكون قلبه قويا من غير - [00:25:26](#)

عنف ولينا من غير ضعف كما يقول شيخ الاسلام رحمه الله كذلك ايضا يؤخذ من هذه الاية ان الجمادات تعرف ربها وخالقها جل جلاله

وان منها لما يهبط من خشية - [00:25:51](#)

من خشية الله حجر. ولهذا جاء عن مجاهد رحمه الله انه قال ما تردى حجر من رأس جبل ولا تفجر نهر من حجر ولا خرج منهما الا من

خشية الله - [00:26:08](#)

نزل بذلك القرآن قاله مجاهد ابن جبر وهو من اجل تلازمة ابن عباس رضي الله عنهما فهذا على كل حال له دلائل كثيرة الله تبارك

وتعالى قال يا جبال اوبي معه - [00:26:24](#)

والطير والناس له الحديد وكذلك قال وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فكل ما في هذا الكون مسبح لربه وخالقه

جل جلاله وهكذا ايضا يقول النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا كان يسلم علي بمكة قبل ان ابعث - [00:26:45](#)

حجر ولما كان صلى الله عليه وسلم يصلي الى جذع يخطب الى جذع ثم بعد ذلك وضع له صنع المنبر فلما وقف على المنبر صلى الله

عليه وسلم حن الجذع كحنين العشار - [00:27:10](#)

تحانين العشار يعني كحنين الناقة العشاء حتى نزل النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يسكنه واخبر انه لو لم يفعل لحن الى يوم

القيامة هذا جماد حن الى غير ذلك من الشواهد والدلائل - [00:27:28](#)

التي تدل على ان هذه الجمادات قد يجعل الله عز وجل لها من الادراك ما تعرف به ربها وخالقها جل جلاله وتقدرت اسماؤه فهذه على

كل حال بعض الفوائد هدايات تستخرج من هذه الاية. واسأل الله عز وجل ان ينفعنا واياكم بما سمعنا ويجعلنا واياكم هداة -

[00:27:47](#)

مهيئين والله تعالى اعلم وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه - [00:28:13](#)